هنـد ومهنـد

حينما تبذل فى هذه الأيام جهود طيبة لتدعيم الروابط بين الهند والعرب وتعقد الندوات والمجالس العلمية فى الأماكن العديدة يردد الناس كلاما معناه أن العرب كانوا يسمون، منذ زمن بعيد، بناتهم «هندا» بسبب حبهم لبلادنا الهند. وهذا خيال شعرى مبعثه عاطفة الحب الوطنى، ولذلك لا يطيب لى أن أقول شيئا ضد هـذا الخيال، ولكن عمل البحث والتحقيق الذى يجانب دائما الخيال الشعرى يقتضى أن يبحث عما إذا كان لهذا الخيال من أصل. وإنى لا أعلم من أبدى هذا الرأى أولا ومتى؟ ولكن نرى فى العصر الحاضر أن المغفور له السيد سليمان الندوى قـد أورد هذا الكلام فى مؤلفه القيم «العلاقات بين الهند والعرب» كحقيقة ثابتة فيقول «مما يبعث على العجب والحيرة أن كلمة «هند» قد أعجبت العرب بحيث سموا نسائهم باسم هذا البلد، فيساوى هذا الاسم فى الشعر العربى اسم «ليلى» و «شيرين» فى الشعر الفارسى». والمظنون أن الذين يرددون اليوم هذا الكلام يعولون على عبارة السيد سليمان المذكورة.

وأول سؤال يواجهنا فى هذا المقام هو أنه متى عرف العرب بلدنا باسم «الهند» أول مرة؟ لا شك فى أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين جنوب الهند وبين الجنوب العربى قبل الإسلام بكثير، ولكنه من المعلوم أن القطر الجنوبى من البلد لم يسم قط باسم «الهند» ولا عرف التجار العرب فى ذلك العصر هذا الاسم. والغالب أن سكان المنطقة الشمالية والوسطى بالجزيرة العربية كانت معرفتهم ضئيلة جدا بالبلاد الخارجية، سوى المناطق التى كانت حدودها متاخمة لبلادهم مثل العراق والشام حيث سيطرت الدول الفارسية والبيزنطينية. وكذلك من الظاهر أن كلمة «هند» بمعنى البلد قد وصلت إلى العرب بواسطة فارس، ومن المسلم به لدى معظم الناس أن كلمة «هند» صورة

مقلوبة لكلمة «سندهو» وكان نهر السند وواديه وسكان هذه المنطقة يسمون فى العصر القديم باسم «سندهو» ولما تمت عليها سيطرة الفرس لمدة قليلة جعلوا يطلقون عليها اسم «هندهو» وكانوا أحيانا يزيدون فى آخرها حرف «ش» فكانت تنطق «هندوش». وفى اللغة الايرانية القديمة كانت تستعمل حرف «ك» للنسبة، وبذلك أطلقت على سكان هندش كلمة «هندك» وفى هذه الصورة وصلت الكلمة إلى العرب، فنرى فى المعاجم القديمة كلمة هندكى وجمعها هنادكة، ولكثير المتوفى سنة ١٢٤ هـ بيت جاء فيه:

ومقـــربة دهم وكمت كأنها طماطم يوفون الوفور هنـادكا

ولما وصل اليونان مع الاسكندر إلى نهر السند تلقوا أيضا اسم هذه المنطقة من الفرس، ولكن الهاء انقلبت عندهم همزة وتكونت كلمات «إندس» و «إند» وقـد حولها الأوربيون إلى «إنڈس» و «إنڈيا» و «إنڈيين»، أما فى اللغة الفرنسية فقد بقيت الكلمة «إند».

وإنى لم اطلع على كلمة «هند» بمعنى البلد فى الشعر العربى القديم، وأرى أن هذه الكلمة بمعنى البلد قد جاءت فى الحيرة نفسها من إيران، ويبدو أن آثار الحضارة والمدنية الفارسيتين كانت سائدة على بلاط الحيرة، ومن هنا نسبت إلى الهند بعض الأشياء التى ترتبط بها خاصة، كما فى هذا البيت لعدى[1] ابن زيد المتوفى سنة ٣٥ ق. هـ:

رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

والمراد بالهندى، كما فى لسان العرب، «العود الطيب الذى من بلاد الهند».

وبما أن سيطرة الفرس كانت قد تمت على بعض المناطق فى الجنوب العربى يمكن أن كلمة «هند» بمعنى البلد قـد عرفت هناك أيضا، ولكن ليس

---

(١) ابن السكيت: تهذيب الالفاظ: ٦٥٦، الأغانى (٢ : ١٤٧)، الشعر والشعراء (١ : ١٨٤) وقد نسب هذا البيت فى لسان العرب (٣ : ٤٣٨) لعدى بن الرقاع المتوفى نحو ٩٥ هـ.

لدينا دليل قاطع بذلك. وعلى كل فتلما يمكن أن انتشرت هذه الكلمة بمعنى البلد قبل القرن الخامس الميلادي في جزيرة العرب الشمالية والوسطى التي نسمى لغتها بالعربية. ولاثبات الرأي القائل بأن العرب سموا نسائهم باسم البلد يلزمنا أن نثبت أن هذه الكلمة قد جرت بمعنى البلد على ألسنة جميع الناس مدة طويلة.

وكما استعملت كلمة «هند» علما فكذلك وردت في اللغة العربية للمعاني الأخرى أيضا منذ زمن قديم، وقد ذكر في لسان العرب لهذه الكلمة المعاني الآتية[1]:

«هند وهنيدة: اسم للمائة من الابل خاصة. وقال أبو عبيدة وغيره: هي اسم لكل مائة من الابل. ابن سيده: وقيل: هي اسم للمائة ولما دونها ولما فويقها، وقيل: هي المائتان. قال: والهنيدة مائة سنة، والهند مائتان».

فكأن معنى الهند والهنيدة هو المائة من الابل أو أقل من ذلك أو أكثر، وكذلك مائة سنة أو المائتان. والطريف أن كلمة «هند» لم ترد علما للمرأة فحسب بل كان الرجال أيضا يسمون بهذا الاسم فقد جاء في لسان العرب: «هند اسم رجل» واستشهد بالبيت الآتي:

إني لمن أنكرني ابن اليثربي قتلت علباء وهند الجملي

أراد: وهنداً الجملي.

وهكذا يظهر أن تسمية العرب المرأة أو الرجل بالهند لا علاقة لها ببلد الهند. وهناك أمر يبعث على التفكير وهو أن العرب حينما يستعملون هذه الكلمة علما للانسان لا يعرفونها بلام التعريف، أما للبلد فيقولون «الهند» بلام التعريف. وبهذا أيضا يثبت أن كلمة هند قد وجدت عندهم من ذي قبل، وحينما استعملوها علما لبلد أدخلوا عليها لام التعريف وخصصوها. ويمكن أن العرب قد أحبوا بلدنا كثيرا ولكنه من المحقق أنهم لم يسموا نسائهم باسمه.

أما الكلمة الثانية التي تعرضت للبحث والمناقشة هي «مهند» ففي الصحاح

---

(١) لسان العرب (٣ : ٤٣٧).

للجوهرى، وهو أقدم معجم مرتب لدينا، جاء فى معنى هذه الكلمة «والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند». وقد تكررت هذه الكلمات فى المعاجم الاخرى، فعبارة لسان العرب كالآتى:

وهند السيف: شحذه، والتهنيد: شحذ السيف، قال:

كل حسام محكم التهنيد
يقضب عند الهز والتجريد
سالفة الهامة واللديد

قال الأزهرى: والأصل فى التهنيد عمل الهند، يقال سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله. والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند.

وفى قصيدة كعب بن زهير الشهيرة بانت سعاد بيت جاء فيه:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وفى رواية هذا البيت خلافات عديدة، ففى رواية جاء فى الشطر الأول «لنور» مكان «لسيف»، وروى الشطر الثانى هكذا أيضا:

وصارم من سيوف الهند مسلول

وكذلك جاء فى رواية أن كعبا كان قد نظم الشطر الثانى هكذا:

مهند من سيوف الهند مسلول

وحينما أنشده رسول الله ﷺ أصلحه وجعل «سيوف الله» بدل «سيوف الهند»، وعلى كل وردت كلمة «مهند» فى البيت فى معظم الروايات.

وقد قيل شعر كثير فى مدح السيف الهندى فى أواخر عهد الجاهلية وصدر الإسلام ونذكر منه أبياتا فيما يأتى:

المهلهل المتوفى نحو ١٠٠ ق هـ[١]:

هزموا العداة بكل أسمر مارن ومهند مثل الغدير يمانى

(١) شعراء النصرانية: ١٦١

الأخنس بن شهاب المتوفى نحو ٧٠ ق هـ[1]:

لكنز لها البحران والسيف دونه ... وإن يأتهم ناس من الهند هارب

الفند الزمانى المتوفى نحو ٧٠ ق هـ[2]:

دون أن أبصرت خيولا لبكر ... وسيوفا هنـــدية ورماحا

طرفة (نحو ٨٦ — ٦٠ ق هـ)[3]:

فآليت لا ينفك كشحى بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

الحارث بن عباد المتوفى نحو ٥٠ ق هـ[4]:

فإن سلمنا فإنا سائرون لكم ... بكل هـــندية فى حدها شطب

المتلمس المتوفى نحو ٥٠ ق هـ[5]:

كطريفة بن العبد كان هديهم ... ضربوا قذالة رأسه بمهنـــد

حاتم المتوفى ٤٦ ق هـ[6]:

سأذخر من مالى دلاصا وسابحا ... وأسمر خطيا وعضبا مهنـــدا

عدى بن زيد المتوفى نحو ٣٥ ق هـ[7]:

والمشرف الهنـــدى نسقى به ... أخضر مطموثا بماء الخريص

عداوة ذى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

(٢،١) شعراء النصرانية : ١٨٥ ، ٢٤٣

(٣) شرح القصائد العشر : ٤٨ ، معلقة : ٨٣ ، ٧٨ .

(٤) شعراء النصرانية : ٢٧٧

(٥) ديوانه : ٢٨ (ليبك ١٩٠٣م)

(٦) ديوانه : ٨

(٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١ : ١٨٢ ، حماسة البحترى : ٢٤٨

وقد ذكر الجاحظ بيتا لعروة بن الورد المتوفى نحو ٣٠ ق ه[١]:

عصوا بسيوف الهند واعتركت بهم ... براكاء حرب لا يطير غرابها

عنترة المتوفى نحو ٢٢ ق ه[٢]:

نطعنتــــه بالرمح ثم علوته ... بمهند صافي الحديدة مخـــذم

المثقب العبدي (جاهلي)[٣]:

وأيجب به من آل نصر سميدع ... أغـر كلون الهـندواني رونق

هلال بن رزين (جاهلي)[٤]:

فولوا تحت قطقطها سراعا ... تكبهم المهنـدة الذكور

حجل بن نضلة[٥]:

ومهنـــد في متنه حـــرجية ... عضب إذا مس الضريبة مفصل

اثم بن رياح[٦]:

بمهنـــد ذي حليـــة جردته ... يبرى الأصم من العظام ويقطع

أمية بن أبي الصلت المتوفى نحو ٥ ه[٧]:

الضاربين التقدمية ... بالمهندة الصفائح

إذا ما الموت غلس بالمنـــايا ... وذبلت المهنـــدة الجفـــونا

الأعشى المتوفى ٧ ه[٨]:

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٨٣

(٢) التبريزي : شرح القصائد العشر: ١٠٣ ، معلقة : ٥٦

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٣٥٧

(٤) الحماسة ١ : ١٧٩ بشرح التبريزي

(٥) الأصمعيات : ٥٥ ،

(٦) الخزانة ٤ : ٤٥

(٧) شعراء النصرانية : ٢٢٤ ، ٢٣٤ وجمهرة أشعار العرب : ١١٩

(٨) ديوانه : ٥٤ ، ٤١١

فى فتية كسيوف الهند قد علموا | أن هالك كل من يحفى وينتعل
أصابه هندوانى فأقصده | أو ذابل من رماح الخط معتدل

المزرد المتوفى ١٠ هـ[١]:

وأملس هندى متى يعل حده | ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل

الخنساء المتوفاة ٢٤ هـ[٢]:

أنت المهند من سليم فى العلى | والفرع لم يسب الكرام بمشهد

لبيد المتوفى ٤١ هـ[٣]:

كسفينة الهندى طابق درءها | بسقائف مشبوحة ودهان
ومدججين ترى المغاول وسطهم | وذباب كل مهند قرضاب

جرول بن أوس المتوفى نحو ٤٥ هـ[٤]:

كسوب ومتلاف إذا ما سألته | تهلل فاهتز اهتزاز المهند

حسان بن ثابت المتوفى ٥٤ هـ[٥]:

فى فتية كسيوف الهند أوجههم | نحو الصريخ إذا ما صوت الداعى
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا | يلوح كما لاح الصقيل المهند
ولا عدى بن كعب إن صيغتها | كالهندوانى لا ارث ولا دثر

عبيد الراعى المتوفى ٩٠ هـ[٦]:

كحديدة الهندى أمسى جفنه | خلقا ولم يك فى العظام نكولا

(١) المفضليات : ١٧٥
(٢) شرح ديوان الخنساء : ٦٥
(٣) ديوانه : ٦٥ ، ١٤٦
(٤) ديوانه : ٨٦
(٥) ديوانه : ٦٦ ، ٣٢
(٦) جمهرة أشعار العرب : ٣٥٦

ذو الرمة (٧٧ — ١١٧ هـ)[١]:

أخاشقة زولا كأن قميصه على نصل هندي جراز المضارب

الكميت (٦٠ — ١٢٦)[٢]:

فقل لبني أميـة حيث حلوا وإن خفت المهنـد والقطيعا

زينب بنت الطثرية المتوفاة نحو ١٣٥ هـ[٣]:

مضى وورثناه دريس مفاضة وأبيض هنديا طويلا حمائله

الحسين بن مطير المتوفى ١٦٩ هـ[٤]:

خفيف الحشا ضربا كأن ثيابه على قاطع من جوهر الهند صارم

ريطة بنت عاصم[٥]:

غدوا كسيوف الهند وراد حومة من الموت أعيا وردهن المصادر

تميم بن أسد الخزاعي[٦].

ووجدت ريح الموت من تلقائهم وخشيت وقع مهنـد قضاب

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: وأنشدني بعض أصحابنا[٧]:

ناديت هيذان والأبواب مغلقة ومثل هيذان سنى فتحة الباب

كالهنـدواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

مرار بن سعيد الفقعسي (إسلامي)[٨]:

---

(١) ديوانه: ٥٥

(٢) البيان والتبيين ٣: ٣٦٥

(٣) حماسة البحتري: ٢٧٥

(٤) البيان والتبيين ٢: ١٧١

(٥) الحماسة (طبعة بون) ٤٩٢

(٦) حماسة البحتري: ٥١

(٧) البيان والتبيين ١: ٤١

(٨) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٦٨٣

إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد قرى الضيف منها بالمهند ذى الأثر

ولا أستطيع أن أقطع ولكنه يبدو أن وضع كلمة «مهند» للسيف الهندى قد تم قبل الإسلام بنحو قرن ونصف، وإنها بدون شك مشتقة من «هند» بمعنى البلد، ولكن الفعل الماضى «هند» ومصدره «التهنيد» قد وجدا فى اللغة العربية منذ قبل كما يظهر من المعجم، والعبارة التالية من لسان العرب جديرة بالتفكير:

«هند إذا قصر وهند وهند إذا صاح صياح البومة (ابن الأعرابى). هند الرجل إذا شتم إنسانا شتما قبيحا، وهند إذا شتم فاحتمله وأمسك، وحمل عليه فما هند أى ما كذب، وما هند عن شتمى أى ما كذب ولا تأخر، وهندته المرأة: أورثته عشقا بالملاطفة والمغازلة[١]. قال:

يمدن من هندن والتهيا

وهندتى فلانة أى تيمتنى بالمغازلة (أبو عمرو)

ابن دريد: هندت الرجل تهنيد إذا لاينته ولاطفته.

ابن المستنير: هندت فلانة بقلبه إذا ذهبت به.

---

(١) وقد كتب الدكتور عبد الستار الصديقى فى رسالته التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه أن كلتى «هند وهند» بمعنى المغازلة لم تشتقا من العلمين القديمين للمرأة العربية «هند وهندة» بل الواقع أن دلال المرأة الهندية كان قد أعجب العرب فاستعملوا كلتى هند وهند بمعنى المغازلة المذكور، كما أن كلمة «هندو» تطلق على الحبيب الجميل فى اللغة الفارسية، وكان قد استشهد بالبيت الفارسى الآتى:

عشوه و ناز و كرشمه همه با مردم هند سعديا روز ازل حسن بتركان دادند

A. Siddiqi, Studien uber die Persischen Fremdworter im Arabisch Goethingen 1919 p. 91.

وقد رفض هذه الفكرة الأستاذ نولدكه فى التعليق الذى كتبه على هذه الرسالة، يراجع Der Islam Vol. 11, p. 270 وحينما ذكرت ذلك للدكتور الصديقى قال: إنى قد تفكرت بعد نشر الرسالة بقليل فوصلت إلى أن رأيى كان خطأ وأنه لا علاقة لهذه الكلمات ببلد الهند.

وكان يقال فى صوت البوم أنه يصيح «هندا هندا» كما يبدو من هذا الشطر :

وبلدة يدعو صداها هندا

ومن الظاهر أن معنى الملاطفة والمغازلة قد أخذ من «هند» بمعنى اسم المرأة . أما الشتم واحتياله فلانعلم أى هند تختص بهما .

وفى ضوء هذه التصريحات يمكن أن أقول : إن كلمتى «هند ومهند» قد وجدتا فى اللغة العربية من ذى قبل ، وحينما أطلق العرب كلمة «الهند» على بلادنا بوساطة الفرس ونسبوا إلى الهند أشياء كثيرة كانت تصل إليهم منها وخاصة الحديد والسيف قالوا للعود «الهندى» وللسيف «المهند» أيضا .

على كڑه ـ الهند

الدكتور عبد العليم